



قراءة في أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس الخاص بالسنوسية (1875-1888)
Reading in the Overseas Archive of Aix-en-Provence on Senoussi (1875-1888)

محمد الكامل حسيني (*)

جامعة الوادي، الجزائر

tggtkamel@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/08/24 تاريخ القبول: 2020/11/03 تاريخ النشر: 2020/12/31

الملخص:

يتناول الموضوع دراسة موجزة لبعض تقارير الاستعمار الفرنسي حول السنوسية الموجودة في أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس، علبة رقم: H5516، وهي عبارة عن مراسلات استخباراتية من طرابلس الغرب وتونس والجزائر حول نشاط السنوسية في الفترة الممتدة بين 1875-1888. يهدف البحث إلى توضيح طبيعة العلاقة بين فرنسا والحركة السنوسية والتي تميزت عموماً بالتوتر، ودراسة الموضوع بشكل سياسي بعيداً عن طبيعة السنوسية المتمثلة بالأساس في التصوف والزهد. ويهدف الموضوع أيضاً إلى إبراز الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي، الذي يعتمد على التجسس وسلطة المخابرات بغرض السيطرة وتثبيت وجوده.

الكلمات الدالة:

السنوسية، أرشيف، أكس أون بروفانس، فرنسا، طرابلس الغرب.

Abstract:

The topic deals with the study of some French colonial reports on Sanusiya in the Overseas Archives of Aix-en-Provence, which are intelligence correspondence from Tripoli Gharb, Tunisia and Algeria about the activities of Sanusiya in the period between 1875-1888. Sanusiya was not a mystical and religious method in France's eyes, but rather considered it a dangerous political movement threatening its colonial interests, so it was necessary to monitor its movements and spy on it to limit its seriousness.

Keywords: Sanusiya; Archives; Aix-en-provence; France; TripoliGarb

1. مقدمة :

(*) المؤلف المرسل: محمد الكامل حسيني tggtkamel@gmail.com



يسلط الموضوع الضوء على بعض تقارير الاستعمار الفرنسي الموجودة في أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس علبة رقم: 16H55 خاصة بالطريقة السنوسية والتي أشار إليها الكثير من المؤرخين⁽¹⁾. وشملت دراستنا الفترة الممتدة بين 1875-1888 وذلك حسب الوثائق المتوفرة لدينا، وللأمانة التاريخية أذكر بمصدر حصولي عليها، ويعود الفضل إلى الأستاذ علي غنابريزة، أستاذ محاضر بجامعة حمة لخضر بالوادي، وذلك بشكل وثائق مصورة في قرص مضغوط.

اهتمت فرنسا بالسنوسية عقب احتلالها الجزائر 1830، واعتبرتها حركة سياسية خطيرة، لذلك كانت ترصد -وبكل دقة -تحركات الأخوان السنوسيين. وحسب المؤرخ الفرنسي لويس تريو، لا توجد طريقة تعرضت للمراقبة من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية مثلما تعرضت لها السنوسية⁽²⁾. وتبلورت تلك المراقبة في شكل تقارير استخباراتية، ولم يقتصر ذلك على نشاط السنوسية في طرابلس الغرب فحسب، بل شمل الجزائر وتونس والمغرب والحجاز واسطنبول والسودان الأوسط أيضا. ومن هنا نطرح الإشكالية التالية، ما الخطر الذي تمثله الطريقة السنوسية بالنسبة لفرنسا؟ وما أهداف تلك التقارير؟ وهل يمكن تصور مجازاة طريقة تصوفية حديثة العهد كالسنوسية لأعتد استعمار في العالم خلال القرن التاسع عشر؟ تعتبر السنوسية إحدى الطرق الصوفية، أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي الحسني الادريسي⁽³⁾، ثم خلفه أبناؤه وأحفاده في رئاستها، والفترة التي ندرسها تخص ابنه محمد المهدي⁽⁴⁾. وتركزت زوايا هذه الطريقة في طرابلس الغرب وبالضبط في برقة. وتقوم السنوسية كغيرها من الطرق الصوفية بتدريس العلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم والوعظ والإرشاد الديني. غير أن فرنسا أوجست منها خوفا، واعتبرتها طريقة صوفية خطيرة وحركة أوجب رصد تحركاتها، ومن هنا لا بد أن نضع فرضيات لهذه المقاربة المريبة التي نسجتها فرنسا حول السنوسية.

أولا: إن السبب الرئيسي -في اعتقادي -يعود إلى مبادئ السنوسية نفسها، التي تعتمد على إصلاح المجتمعات والتمسك بتعاليم الدين الإسلامي والدعوة إلى الاجتهاد والجهاد والتجديد أيضا؛ أي أن السنوسية مزجت بين الدين والسياسة، كما أن أهدافها الإصلاحية توسعت وتخطت طرابلس الغرب إلى مناطق جغرافية مجاورة خاصة الجزائر، الأمر الذي اعتبرته فرنسا خطرا عليها.

ثانيا: لقد تزامن ظهور الطريقة السنوسية بطرابلس الغرب مع احتلال فرنسا للجزائر، مما شكل تحديا كبيرا للطرفين؛ فمن جهة يفرض على السنوسية المواجهة وإقرار الجهاد أو على الأقل توخي الحذر ودرء الخطر القادم. ومن جهة فرنسا، فإن القضاء على السنوسية يعتبر



ضرورة لتأمين احتلالها للصحراء الجزائرية المجاورة لصحراء فزان، والتي تعتبر منطقة التقاء بين طوارق التبستي والطاسيلي.

ثالثا: إن رصد فرنسا تحركات السنوسية ومراقبة الأخوان في طرابلس الغرب وتونس والجزائر، هدفه قطع الطريق على الإمدادات المادية -خاصة السلاح- التي يمكن أن تصل إلى المقاومات الشعبية بالجزائر.

رابعا: باعتبار أن الشيخ محمد بن علي السنوسي أصله جزائري، فهذا يكون سببا واقعيا يدفع فرنسا -التي تحتل الجزائر- لمراقبته، هو وخلفائه من بعده، خاصة وأن تقارير سابقة اعتبرت السنوسية طريقة مارقة لم تخضع لفرنسا كغيرها من الطرق الصوفية الأخرى. وهذا ما أكدته كل من ليون روش وهنري دوفيري⁽⁵⁾ وشارل فيرو⁽⁶⁾، ومن بعدهم جان لوي تريو، الذي يعتبر أحد أبرز مؤرخي السنوسية، حيث وصفها بالأسطورة السوداء.

خامسا: تعتبر إفريقيا جنوب الصحراء منطقة نفوذ ومجال حيوي لفرنسا، وهي نفس مناطق انتشار زوايا السنوسية خاصة في السودان الأوسط، مما يضع السنوسية في مواجهة مباشرة مع فرنسا.

سادسا: نشاط الحركة السانسيونية خلال هذه الفترة وتأثيرها على السياسة الخارجية الفرنسية، حيث يعتبر هنري دوفيري أحد رجالها والمعروف بكرهه للسنوسية: إذ صرح أن السنوسية مسؤولة عن كل مآسي فرنسا في الصحراء.

لقد تناولت دراسات سابقة الحركة السنوسية بإسهاب، سواء علاقتها بفرنسا أو بغيرها، إلا أن جانب الاستخبارات والتقارير الموجودة في أرشيف ما وراء البحار لم يأخذ حقه من البحث، وتمت الإشارة إليه-غالبا-بشكل ملاحق دون تحليل. أما بحثي يتمحور في نفوذ الغبار على بعض الوثائق التي بقيت حبيسة أدراج الأرشيف والتي اعتقد أنها ستزيد من البحث التاريخي قدما إلى الأمام، وربما تجيب على بعض الإشكالات التاريخية التي بقيت عالقة. وقد أضافت دراساتي معلومات جديدة و متميزة عن سابقتها، تتمثل في كشف خبايا التجسس التي تعد في الأصل من أسرار الدولة والتي يصعب الوصول إليها، إضافة إلى معلومات خطيرة عن كيفية محاولات فرنسا اختراق السنوسية نفسها في بعض زواياها.

إن توفر هذا الكم الهائل من الوثائق الأرشيفية، ساعدنا كثيرا في وضع مقاربات تاريخية قريبة جدا من الحقيقة باعتبارها شواهد مادية لا يختلف فيها اثنان. والموضوع يهدف إلى



توضيح طبيعة علاقة فرنسا العدائية اتجاه الحركة السنوسية، وإبراز مدى أهمية التجسس بالنسبة للاستعمار الفرنسي إلى درجة توظيف القنصليات في هذا المجال.

لقد اتبعت في دراستي المنهج الاستردادي، وقمت من خلاله باسترجاع الأحداث التاريخية وشرحها حسب وقائعها التي جرت في وقتها. وحاولت أيضا الوصول إلى حقائق وفق مقاربات واقعية، لذلك استعملت من حين إلى آخر مناهج تاريخية أخرى، أبرزها المنهج التحليلي.

2. تعريف الوثائق :

إن الوثائق عبارة نسخ أصلية خاصة بالسنوسية موجودة في أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس⁽⁷⁾. جمعت في علبة رقم: 16H55. وتمثل وثائق رسمية تابعة للحكومة الفرنسية، تضمنت مراسلات كتبت في أوراق بخط اليد باللغة الفرنسية، ما عدى وثيقة واحدة خطت باللغة العربية غير مفهومة كأنها طلاس. واستنادا للتواريخ المسجلة في المراسلات والبرقيات التي اطلعنا عليها، أمكننا حصر فترتها الزمنية التي غطت 13 سنة تنحصر بين 1875 و 1888.

3. شكل الوثائق⁽⁸⁾ :

لقد حررت تلك الوثائق في أوراق عادية من الحجم المتوسط أغلبها غير مخططة، مخصصة لشؤون "الأندجينا"، كتبت بالحبر لونه أسود. أما الختم لونه أزرق وأحيانا أسود ذو شكلين دائري وبيضوي، مسجلة بالديوان وغالبا ما يكون أحدها للبريد الوارد والآخر للصادر. والوثائق عبارة عن استمارات إدارية رسمية يبدو أنها نسخت بواسطة طباعة، وهذا ما يميز الوثائق الرسمية. وهناك وثائق أخرى عبارة عن برقيات لها خاصية الإرسال السريع بواسطة البرق، وتتميز بأختام خاصة؛ عادة ما تكون مستطيلة الشكل تسجل فيه عبارة "خدمة رسمية".

ونظرا لعدد الوثائق الكبير، فقد جمع أغلبها في شكل كراس تم إمساكه وتجليده بطريقة تقليدية. ورغم مرور السنين، فقد بقيت سليمة غير ممزقة خطها واضح مقروء، لكنها غير مرتبة وغير مرقمة أيضا، باستثناء بعض الأوراق، الأمر الذي يعيق تتبع أحداثها بسهولة.

لقد كتبت تلك الوثائق بخط اليد، لذلك فإنها لم تخل من الابهاض والتصحيح⁽⁹⁾ والتحريف في بعض أسماء الأماكن والأعلام، كما لاحظنا إضافات في حواشها، إضافة إلى عدم وضوح بعض الوثائق بسبب سوء التصوير. ورغم هذه الصعوبات فقد بذلت قصارى جهدي في دراستها بدءا من تصنيفها.

4. أنواع الوثائق :



يتجاوز عدد الوثائق المائة، مختلفة حسب نوع الوثيقة في حد ذاتها؛ فهناك وثائق حررت في استمارات رسمية، وأخرى في أوراق عادية. كما لاحظنا وجود وثائق مختومة، وأخرى دون ذلك، لذلك ارتأيت أن أصنفها كما يلي:

1. 4 . الوثائق الرسمية :

هي وثائق رسمية تابعة للحكومة الفرنسية مؤرخة ومختومة ومسجلة في البريد الوارد والصادر حسبما لاحظناه فيها، وأغلبها ممضى بأسماء المراسلين وأحيانا بحروف مشفرة، حررت في استمارات إدارية رسمية مدنية وعسكرية. وبعضها يتكون أكثر من صفحة وصل أقصاها إلى 18، وبعضها الآخر له مرفقات عرفنا بوجودها من خلال قراءة محتوى التقارير.

وتشكل الوثائق الرسمية أغلب وثائق الأرشيف الخاص بالسوسية، وهي عبارة عن تقارير وبرقيات استخباراتية بعثت من مختلف الأماكن؛ أي من تونس أو طرابلس أو من المقاطعات الجهوية للجزائر كوهان وقسنطينة وحتى الدوائر كمعسكر.... وأحيانا من باريس، لكنها تصب في اتجاه واحد وهو الحاكم العام للجزائر، بل توجد تقارير أرسلت إلى باريس وأعيد توجيهها إليه. يعتبر الحاكم العام للجزائر لبنة وحلقة وصل أساسية في المراسلات والتقارير والبرقيات؛ وسجل اسمين في الوثائق المتوفرة لدينا هما: ألفريد شانزي⁽¹⁰⁾ ولويس تيرمان⁽¹¹⁾، بينما لم يسجل اسم ألبرت غريفي الذي كان حاكما عاما للجزائر بصفة مؤقتة، وهذا ما يفسر عدم وجود تقارير تشمل فترته.

2. 4 . التقارير العادية :

تضمن الأرشيف أيضا تقارير عادية، وهي عبارة عن تقارير استخباراتية مثل السالفة الذكر لها قيمتها التاريخية، لكنها ليست مؤرخة ولا مختومة ولا محررة في استمارات إدارية رسمية، يصعب ضبطها زمنيا. وعليه فلا يمكن اعتبارها وثائق رسمية لأنها حررت في أوراق عادية تشبه أي رسالة عادية، لكن نجد بعضها معلومة المرسل أو المرسل إليه، وأحيانا الاثنين معا. ويبدو أنها نقلت بواسطة أشخاص وليس عن طريق البريد أو البرق لظروف معينة.

3. 4 . وثائق أخرى :

عبارة عن أوراق عادية لها علاقة بالسوسية لكنها ليست بتقارير، وعلى سبيل المثال لا الحصر، لاحظنا ورقة عبارة عن غلاف كتب فيه بالفرنسية ما يلي: مذكرات هنري دوفيري حول الطريقة السنوسية 1883، وحروف وأرقام: 16H56/A.O.M. وورقة كتبت باللغة العربية،



غير مفهومة، بشكل طلاس، وقد أشرنا إليها سابقا، وورقة أخرى كتب فيها بالفرنسية ما يلي:
تقرير فيرو حول بن شاعة.

5. تحليل المضمون :

تضمن الأرشيف معلومات غزيرة ومتنوعة⁽¹²⁾، لذلك ارتأينا أن ندرس الأهم، خاصة
السياسية منها :

1. 5. دور قنصلية فرنسا في طرابلس الغرب :

تعاقب على رئاسة القنصلية في فترة 1875-1888 ثلاثة قناصل عامون: دولاورت⁽¹³⁾،
وشارل فيرو، ودسترس⁽¹⁴⁾، إضافة إلى نائب القنصل فيرو السيد أوجين ريكارد الذي حرر
تقاريراً باسمه وكان نشطا جدا عكس السيد دسترس، أما دور القنصلية نبرزه في النقاط
التالية:

1. 1. 5. مراقبة الجبل الأخضر⁽¹⁵⁾ :

يمثل الجبل الأخضر أهمية كبيرة للسَنوسيين، به الزاوية البيضاء وهي المقر الأول للطريقة
السَنوسية بناها الشيخ محمد بن علي السَنوسي في نهاية 1842. وللجبل الأخضر أهمية كذلك
بالنسبة لركب الحجاج نحو البقاع المقدسة؛ إذ يعتبر طريقا عامرا وأمنا واستراتيجيا يربط
مصر بطرابلس الغرب عبر واحة سيوة. ونشط فيرو في مراقبة الشيخ محمد المهدي في الجبل
الأخضر بالتنسيق مع نائبه أوجين ريكارد الساكن ببغازي، ورصد كل كبيرة وصغيرة كما يؤكد
تقرير رقم 8 مؤرخ في 13 جانفي 1877⁽¹⁶⁾.

لقد جعلت فرنسا الجبل الأخضر بمثابة مركز مراقبة لدخول وخروج الجزائريين، وكانت
المراقبة دقيقة جدا، حيث كان يفرض عليهم-خاصة الحجاج- التسجيل وختم جوازات السفر
في القنصلية الموجودة في بنغازي. ويعتبر جواز السفر وثيقة رسمية ورخصة عبور
للجزائريين⁽¹⁷⁾، لكن فرنسا جعلته وثيقة تخايرية؛ يؤثر فيه القنصل ويسجل فيه أحيانا
ملاحظات استخباراتية تخص صاحب جواز السفر نفسه، ليطلع عليها المراقبون لاحقا في
مختلف نقاط المراقبة والعبور في طرابلس الغرب أو تونس أو الجزائر.

1. 2. 5. تكليف العملاء السريين:

أشارت التقارير إلى عملاء سريين يخدمون فرنسا في طرابلس الغرب. ونشط فيرو في هذا
الإطار وساعده على ذلك معرفته للغة العربية. واستطاع أن يخترق السَنوسية نفسها من
الداخل بواسطة مخبرين قرييين جدا من الزاوية ومنهم المخبر الحاج محمد بن شاعة⁽¹⁸⁾ الذي



قدم معلومات عن زوايا، حمس [كذا] والجبل وفزان. وكشف تقرير آخر كذلك بعثه دولابورت عن محاولة إدخال علي كميل باشا مخبر بطريقة سرية إلى الزاوية-وهي البيضاء- بمساعدة عبد الرحيم أحد أعوان الشيخ السنوسي. ووظف أيضا في هذا المجال مكي أفندي -الذي أصبح دفتدار⁽¹⁹⁾ في مدينة طرابلس- حيث قدم معلومات عن السنوسية.

5. 1. 3 . مراقبة الملاحة البحرية :

تعتبر قابس وصفاقص أهم نقاط المراقبة وإحدى المراكز التي تمنح تأشيرة العبور للجزائريين في آيالة تونس، ويبدو أنهما خاصتين بالملاحة البحرية، وكان القنصلية الفرنسية نشطة في هذا الشأن. واستمرت التقارير تصدر من تونس حتى بعد فرض الحماية عليها، وذلك من طرف الإقامة الفرنسية بتونس بالتنسيق مع القنصلية العامة بطرابلس كما أشار إلى ذلك تقرير مرسل من تونس بتاريخ 4 جوان 1886. وفي هذا الإطار، اتخذ فيرو ميناء طرابلس مركزا للمراقبة؛ فقد كان يتجسس على كل مسافر له ملامح عربية، وطبعا كانت كل السفن القادمة إلى الميناء أو المغادرة-حتى ولم تكن فرنسية- تحت رقابة عيونه.

5. 1. 4 . مراقبة الجغبوب :

تقع الجغبوب جنوب الجبل الأخضر في صحراء برقة، وهي المقر الرئيسي للطريقة السنوسية. وتضمن الأرشيف عدة تقارير خاصة بها والأشخاص الغرباء الذين يزورونها، وأشير إلى أسماء أشخاص عاديين قادمين من مدن جزائرية مثل غليزان ومستغانم ومعسكر...، وآخرين أوروبيين لهم قيمة سياسية معتبرة مثل الرحالة الألماني غرهارد رولفس⁽²⁰⁾ الذي كان تحت المراقبة منذ ذهابه إلى زاوية الجغبوب عام 1869. وأهم ما ميز تقارير الجغبوب اتهام السنوسية بتجارة العبيد⁽²¹⁾؛ فقد أشارت أن السنوسي بنى عدة زوايا سنوسية في وادي، ويقوم السلاطين بإرسال العبيد إلى الشيخ عبر واحة جالو، ثم يقوم هذا الأخير ببيع أغلبهم وإرسالهم إلى مصر مع قوافل تجار العبيد عبر طريق سيوة.

5. 1. 5 . مراقبة تجارة السلاح :

كانت القوانين الفرنسية تحظر تجارة السلاح التي تسميها تجارة "البارود" في تقاريرها، وهي من أبرز الأمور التي أزعجتا وسببت لها صداعا كبيرا، لأنها ترتبط مباشرة بالمقاومات الشعبية المسلحة، لذلك سجلت هذه التجارة في عدة تقارير. واهتمت السنوسية بجمع السلاح مبكرا، وفي الحقيقة لم يكن ذلك سرا، بل كانت تصنعه أيضا، وقد ذكر لويس رين ذلك في كتابه⁽²²⁾. وكانت فرنسا أشد ما تخشى وصول هذا السلاح إلى الجزائر الأرض الملتهبة آنذاك، وحسب



التقارير نلاحظ أنها أقامت نقاط مراقبة في ثلاثة مناطق رئيسية وهي: الجغبوب، وغدامس، والحدود التونسية الجزائرية.

إن دخول السلاح لا يمكن أن يتم إلا عبر الحدود؛ وقد أشارت تقارير أغلبها صادرة من عمالة قسنطينة إلى المدن التالية: طبرقة وتبسة ونفطة وسوف؛ وفي هذا الشأن اشتبهت فرنسا في السيدين فرانسيسكو سانجلو وروزاريو⁽²³⁾ -الساكنين في طبرقة وتبسة على التوالي- في ممارستهما تجارة البارود⁽²⁴⁾. أما نفطة، كانت بمثابة قاعدة خلفية للثورات الجزائرية خاصة الشرقية منها، وكثيرا ما كانت فرنسا تحتج لدى الباي التونسي بسبب عمليات يقوم بها ما كانت تسميهم بـ "المشوشين"، وأبرزهم الثائر الشريف بن عبد الله الذي لقي دعما قويا من زاوية سيدي عبيد بالجرف. وبخصوص سوف فقد كانت معبرا رئيسيا للثوار والسلاح، وتكلم تقرير - صراحة- عن عائلة الساحلي الساكنة بكوينين التي كانت تتاجر بالبارود.

2. 5 . علاقة السنوسية بالسلطة العثمانية :

تعتبر طرابلس الغرب أمانة عثمانية⁽²⁵⁾ يحكمها والي يلقب "باشا". وللسنوسية علاقة مباشرة بمتصرفية بنغازي التي تمثل إدارة مستقلة مع ثلاثة أقضية وتسع نواحي⁽²⁶⁾. وتميزت بنغازي بنظام خاص في عام 1879؛ حيث أصبحت ولاية لها إدارة مدنية، وتحولت عام 1888 إلى سنجق تابعة لاسطنبول يحكمها متصرف يتمتع باستقلالية⁽²⁷⁾.

وحسب التقارير الفرنسية فقد كان للسنوسية حضورا إداريا متميزا وسلطة إدارية قوية؛ لها ممثلين في أعلى المجالس الإدارية في بنغازي مثل سي الحر إبراهيم عضو مجلس أهالي المدينة. ولم يقتصر نفوذ السنوسي في بنغازي فحسب، بل تعداه إلى عاصمة الخلافة اسطنبول؛ فقد كان للسنوسي ممثلا خاصا لدى السلطان عبد الحميد الثاني اسمه عمران الوزاني. وكان السلطان يحترم كثيرا المتصوفة والدراويش ومنهم السنوسيين؛ ومن مظاهر ذلك أنه خصص للشيخ المهدي زورقا خاصا تحت تصرفه عندما عزم الذهاب إلى الحج عام 1888، حسب تقرير سري جدا لفيرو.

وكان الولاية الأتراك في أمانة طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي يحترمون كثيرا السنوسية التي كان لها انتشارا واسعا لدى بدو برقة. كانت تفرض سيطرتها الإدارية وحتى المالية بواسطة جمع الزكاة، ووصفت بأنها تمثل دولة داخل دولة. وفي المقابل تميزت الإدارة العثمانية بالضعف وتركزت في السواحل، بينما اقتصر وجودها في الدواخل على إقامة حاميات عسكرية ضعيفة في مناطق متفرقة من صحراء برقة و فزان تحت إدارة قائممقام. وكان العثمانيون ظلًا



للسنوسيين، وحتى مفتي طرابلس⁽²⁸⁾ سي محمد بن مصطفى كان ضعيف الشخصية، لا يهتم إلا بمصالحه، ولا يمارس مهنته كمفتي على الوجه المطلوب.

وانتقدت فرنسا صراحة ضعف شخصية مصطفى باشا⁽²⁹⁾ أمام قوة الشيخ السنوسي، بهدف تأليب الأتراك ضد السنوسيين. لكن عبر مصطفى باشا بصراحة عن رأيه بأنه يكن احتراماً للمرابطين ومنهم الشيخ السنوسي، وهذا الموقف عكس سلفه سميح باشا تماماً. وقد حظي المرابطون بمكانة هامة إلى درجة إعفائهم من دفع الضرائب. وتواصل انتقاد الولاة العثمانيين؛ حيث عبر القنصل دولابورت لصبري باشا⁽³⁰⁾ عن مدى انزعاجه من تزايد نفوذ السنوسية خاصة في بنغازي.

3. 5. الزوايا السنوسية :

قام السيد دولابورت بإحصاء زوايا السنوسية عام 1875 خارج إقليم بنغازي موزعة في إقليم حمس [كذا] والجبل وفزان⁽³¹⁾. وحسب ما جاء في البرقية الملحقة فان السيد دولابورت قام بذلك الإحصاء بناء على مهمة كلفته بها المشار إليها بحرفين "v.e" تتمثل في جمع أخبار الشيخ المهدي السنوسي والتركيز على نشاطه الثقافي.

4. 5. علاقة السنوسية بالمقاومات الشعبية في الجزائر:

لقد وقف الشيخ محمد بن علي السنوسي مبكراً ضد فرنسا، وذلك بمعارضته مهمة ليون روش⁽³²⁾ في الحجاز. وواصل ابنه الشيخ محمد المهدي السنوسي مسيرة أبيه في دعم المقاومات الشعبية في الجزائر، وفي هذا المجال أشارت التقارير إلى مقاومات بعينها وهي:

1. 4. 5. انتفاضة الشيخ بوعمامة⁽³³⁾ :

سجلت الوثائق انتفاضة أولاد سيدي الشيخ بزعامة محمد العربي بوعمامة حسب مراسلة عام 1886⁽³⁴⁾، وتكلمت عن مؤامرات قام بها كل من السنوسي وبوعمامة. ورغم أن الشيخ بوعمامة ينتمي إلى الطريقة الشيخية⁽³⁵⁾، إلا أن التنسيق مع الشيخ السنوسي كان حقيقياً لوجود عدة أتباع للسنوسية من توات- إحدى مناطق الجنوب الوهراني التي شملتها الانتفاضة- وأبرزهم محمد التواتي المعروف بـ "العالم" من تديكلت، لذلك أكد دوفيري-ولو بالغ كثيراً- أن السنوسية مسؤولة عن أغلب الهجمات التي يتعرض لها الجيش الفرنسي في الصحراء. وقد يكون محقاً لأن هناك من يعتبر أن بوعمامة ينتمي إلى الطريقة السنوسية وهو العقيد واشي⁽³⁶⁾. تعد انتفاضة بوعمامة من أطول المقاومات الشعبية في الجزائر؛ فقد دامت ربع قرن من 1881 إلى 1908 السنة التي توفي فيها الشيخ بوعمامة⁽³⁷⁾. ويدفعنا هذا بالاعتقاد بل الجزم أن

هذه الانتفاضة لم تخص طريقة صوفية بعينها، بل كانت نموذجا للكفاح الوطني الذي شمل عدة طرق صوفية منها السنوسية، بل ولم يكن للطريقة الصوفية اعتبارا بقدر ما كان الجهاد هو الأساس، وهذا يفند فكرة "لاوطنية" المقاومات التي روج لها الاستعمار الفرنسي، بل وصف بعضها بالعصيان كما هو الحال بالنسبة لبوعمامة.

5. 4. 2. اضطرابات وادي ريغ⁽³⁸⁾ :

يعتبر وادي ريغ معبرا أساسيا بين الجزائر والجريد التونسي، ويبدو من خلال التقارير أن فرنسا كانت تشدد الخناق عليه. فهذه برقية مؤرخة في 21 فيفري 1877 تابعة لوزارة الداخلية تؤكد انطلاق الشيخ السنوسي مع رفقائه من الجبل الأخضر نحو وادي ريغ، ثم حرض السكان أثناء مروره⁽³⁹⁾. وأكد التقرير أن الكلام عن البارود أصبح حديث الناس في وادي ريغ، وقد خاف قايد سوف-كما أكدت البرقية-على عائلته، وفضل نقلها إلى بسكرة طلبا للأمن والسلامة كما أشيع في سوف وبسكرة. وفي شأن الاضطرابات كلف قنصل فرنسا بتونس التأكد من الأوضاع في الجنوب، حسب برقية لاحقة مرسلة من الجزائر بتاريخ 29 فيفري 1877.

5. 4. 3. مقاومة الشيخ ابن تكوك⁽⁴⁰⁾ :

ورد اسمه في التقارير الفرنسية باسم الشارف بن تكوك؛ من أولاد سيدي بن عبد الله، وهو ممثل السنوسية في الجزائر وبالضبط في مستغانم المدينة الأصلية للشيخ محمد علي السنوسي، وينتمي إلى نفس قبيلة شيخه وهي المجاهر، وكان كثير التردد على الجغبوب. لقد وجد الشيخ ابن تكوك دعما من السنوسية⁽⁴¹⁾ على مقاومة الاستعمار الفرنسي، لذلك اعتبر من أكبر المطلوبين لدى المخابرات الفرنسية.

6. الخاتمة :

من خلال تحليل بعض وثائق أرشيف ما وراء البحار الخاص بالسنوسية توصلنا إلى نتائج هامة وهي: عرفنا مدى مكروخبت الاستعمار الفرنسي واستعماله وسائل متعددة أبرزها سلطة التخابر بغرض السيطرة. وبالمقابل كشفت هذه الوثائق عن مدى قوة وتنظيم السنوسية في مواجهة ما كان يسمى "الكافر". ويبقى الموضوع قابلا للإثراء نظرا للكُم الهائل من الوثائق الموجودة في الأرشيف والتي تعتبر مادة دسمة للدراسة التاريخية.

الجدول 1: الزوايا السنوسية في إقليم حمس [كذا] والجبل وفزان سنة 1875.

الرقم	اسم الزاوية	مقدمها	موقعها الجغرافي	تاريخ إنشائها	ملاحظة
-------	-------------	--------	-----------------	---------------	--------



1	مسراتة Mézurata	سي حليفة الشنشاه	شرق طرابلس	منذ 32 سنة	عبد الله السنّي شيخها الأول
2	مزدا Mezda	سي عبد الله السنّي	جنوب غريان	منذ 32 سنة	
3	عمامرة Amamra	غير معروف	قرب مسلاتة	منذ 25 سنة	
4	اورفلة Orfellah	سي إدريس الزبيدة	بني وليد	منذ 25 سنة	
5	حرابة Haraba	غير معروف	قرية بقليلة جنوب نالوت	منذ 29 سنة	مقدمها يتغير كل سنة
6	سيناون Cinaoun	غير معروف	شمال شرق غدامس	1859	مهجورة
7	ماترس Matrès	غير معروف	شرق غدامس	منذ 18 سنة	مهجورة
8	تونن Tounen	غير معروف	قرب غدامس	منذ 18 سنة	مهجورة، تبعد عن غدامس بنصف ساعة
9	غدامس Ghadames	الحاج محمد بن موسي	مسجد المدينة المسعى "جامع تسكو متيدان"	منذ 20 سنة	مقدمها رافق أب الشيخ السنوسي إلى الحج
10	طباقا Tabaga	سيدي محمد الأزهاري (من الهنّتان)	جنوب غرب مزدا	منذ 14 سنة	نفس الزاوية ذكرها فيرو باسم

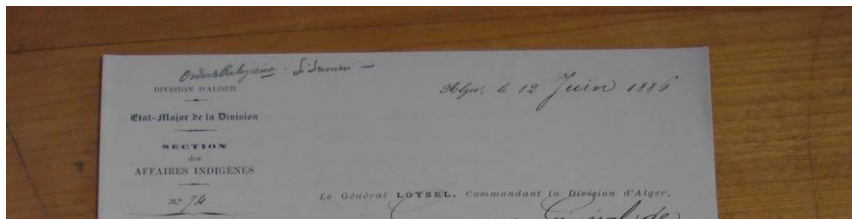


رقم	البلد	الاسم	قرب	منذ	سنة	ملاحظات
11	رجبان Redjbane	الحاج بلقاسم بن الحاج محمد الساوي (من الهنّتان)	قرب سساتو	منذ	18 سنة	
12	تونن Tounen	سيدي علي بن يحي	قرب غات	منذ	30 سنة	بناها الحاج أحمد الحاج امين
13	مرزق Mourzouk	سيدي إبراهيم بن الحاج عيسى	فزان	منذ	25 سنة	بناها الحاج أحمد التواتي
14	زويلة Zouila	غير معروف	فزان	منذ	23 سنة	مهجورة
15	القطرون El-gatroun	سيدي إبراهيم المشروح	فزان	منذ	23 سنة	بناها الحاج أحمد التواتي
16	واوو الشوف Ouaou ech- chouf	غير معروف	شرق مرزق	منذ	12 سنة	بناها الحاج أحمد التواتي
17	سكنة Sokna	سي حبيب الله	شمال مرزق	منذ	11 سنة	بناها الأهالي
18	هون Hon	غير معروف	فزان	منذ	14 سنة	بناها الأهالي

المصدر: - AOM. 16H55. Rapport de M. Delaporte à le Duc Ducazes. Tripoli, Le 24 Aout 1875.

6. ملاحق:

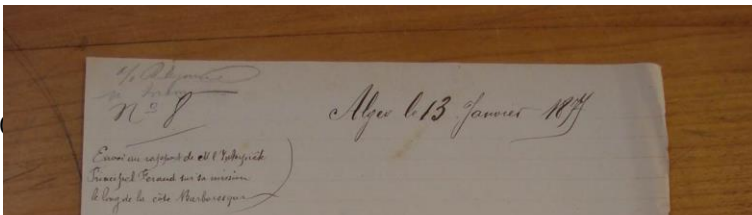
الملحق رقم: (01)





-A.O.M, Rapport de Général Loysel, commandant de la division d'Alger, à M. le
gouverneur général de l'Algérie, Alger, le 12 juin 1886.

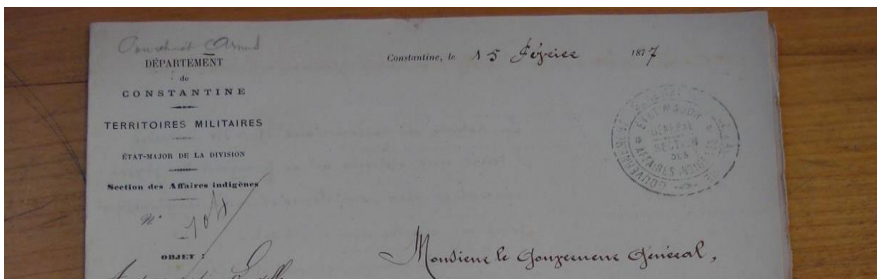
الملحق رقم: (02)





-A.O.M, 16H55, Rapport de M. le gouverneur général de l'Algérie, à M. le ministre des affaires étrangères. Alger, le 13 janvier 1877.

الملحق رقم: (03)

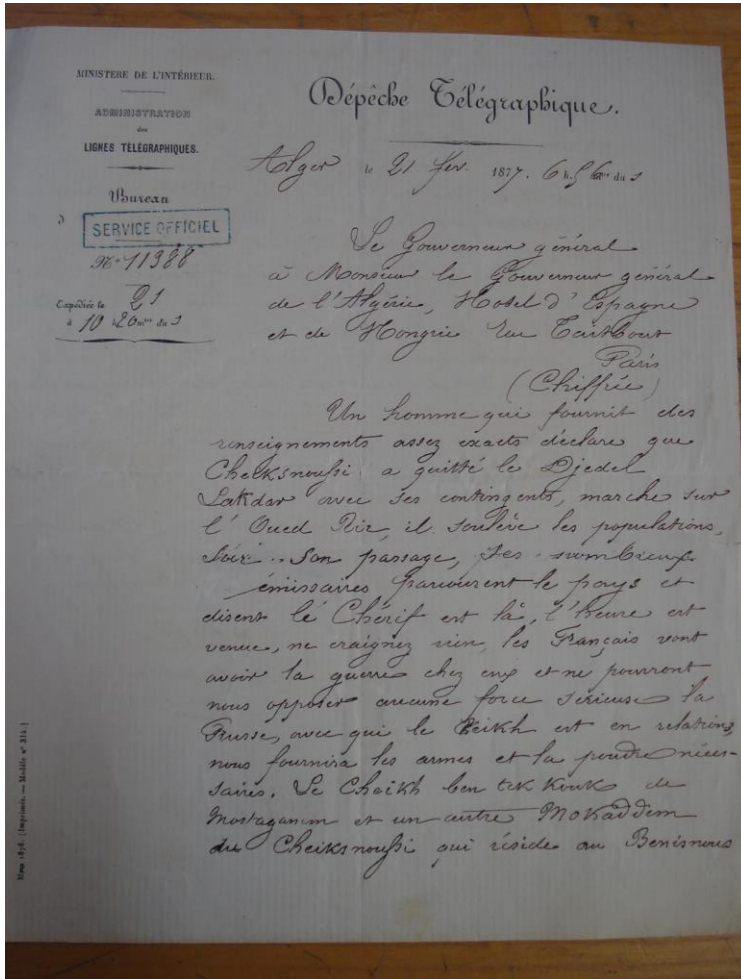




-A.O.M, 16H55, Rapport de département de Constantine, à M. le gouverneur
général de l'Algérie, Constantine, le 15 février 1877.

الملحق رقم: (04)

(



-A.O.M, 16H55, Dépêche télégraphique de ministère de
l'intérieur, à M. le gouverneur général de l'Algérie. Alger, le 21
février 1877.

7. هوامش:



(1) -Jean-louis Triaud, La légende noire de la sanusiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840-1930), (Paris; éditions de la maison des sciences de l'homme, 1995), volume I, pp. 36-121.

(2) -ibid, p,2.

(3) - كانت ولادته صبيحة يوم الاثنين 12 ربيع الأول 1202 هجري الموافق 21 ديسمبر 1787 ميلادي بضاحية ميثا الواقعة على ضفة وادي شلف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة مستغانم الجزائرية مقر أجداده السادة آل خطاب. زار عدة مناطق كفاس ومصر والحجاز، واستقر في طرابلس الغرب. توفي يوم الأربعاء 9 صفر 1276 هجري 8 أغسطس 1859 ميلادي. أنظر:

عبد المالك بن عبد القادر بن علي، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا، (دمشق: مطبعة دار الجزائر، 1966-1386)، القسم الأول، ص ص 6-47.

(4) - ولد ليلة الأربعاء أول يوم من شهر ذي القعدة الحرام 1260 هجري 12 نوفمبر 1844 ميلادي في الجبل الأخضر في قرية ماسة. وعندما سافر والده إلى الحجاز عام 1262 هجري 1844 ميلادي بقي هو مع والدته وشقيقه السيد محمد الشريف يترددان ما بين زاويتي البيضاء ودنة حتى بلغ السابعة من عمره. وبعد وفاة والدهما بقيا هو وشقيقه بصحبة والدتهما بالجغبوب ينشر الطريقة السنوسية، ثم رحل إلى الكفرة ومنها إلى تشاد قام خلالها بمحاربة القوات الفرنسية. توفي يوم الأحد 23 صفر 1320 هجري 1 يونيو 1902 ميلادي. أنظر: نفسه، ص ص 52، 53.

(5) - رحالة وسياسي فرنسي، زار شمال إفريقيا 1857 وعمره 17 سنة ثم عاد إلى فرنسا وذهب إلى بريطانيا ليلتقي هنريش بارث. وفي عام 1859 انطلق من الجزائر في اتجاه المنية، وبعد طرده اتجه إلى طرابلس وسافر نحو الجنوب وتمكن من ربط علاقات صداقة مع شيوخ الأجر، وبعد مرضه عاد إلى باريس وكتب مذكراته حول طوارق الأجر في كتاب سماه "طوارق الشمال". أنظر:

جوزفين كام، تر. وتحقيق. السيد يوسف نصر، المكتشفون في إفريقيا (دب: دار المعارف، 1983)، ص ص 202-203.

(6) - ولد بمدينة نيس في 5 فبراير 1829. في سنة 1845 قدم وهو في السادسة عشرة من عمره إلى الجزائر وضم إلى هيئة المترجمين العسكريين 1850، ثم عين ترجمانا رسميا للحكومة الفرنسية في الجزائر لشدة إتقانه العربية. وفي 5 نوفمبر 1878 عين قنصلا لفرنسا بطرابلس خلفا للقنصل دولابورت، ثم ترقى درجة قنصل عام وظل في منصبه بليبيا حتى 31 ديسمبر 1884. توفي في طنجة في 19 ديسمبر 1888. أنظر:

شارل فيرو، ترجمة وتحقيق. محمد بن عبد الكريم الوافي، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي (ط3؛ بنغازي: منشورات جامعة قارونس، 1994)، ص 14.

(7) - مدينة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي إلى الشمال من مرسيليا (30 كلم). أنظر:

عبد القادر خليفي، «رحلتي إلى أيكس أون بروفانس»، مجلة عصور الجديدة 11-12 (فبراير 2013/2014)، ص 427.

(8) - أنظر الملاحق رقم: 1، 2، 3، 4، ص ص 13-16.



- أنظر الملحق رقم: 1، ص 13.⁽⁹⁾
- ⁽¹⁰⁾ - ضابط سابق في المكاتب العربية، حاكم عام الجزائر 1873-1879. أنظر: شارل روبر أجبرون، تر. عيسى عصفور، تاريخ الجزائر المعاصرة (ط1؛ بيروت: منشورات عويدات، 1982)، ص 80.
- ⁽¹¹⁾ - حاكم عام الجزائر 1881-1891. أنظر: نفسه، ص 83.
- ⁽¹²⁾ - تضمنت الوثائق معلومات مثل حياة الشيخ محمد بن علي السنوسي؛ زواجه وسفره إلى فاس والحجاز وطرابلس والتقاءه بأستاذه الشيخ أحمد إدريس، وتضمنت أيضا بعض مبادئ السنوسية كتحرير التدين وشرب القهوة... أنظر: A.O.M, 16H55.
- ⁽¹³⁾ - قنصل عام لفرنسا في طرابلس الغرب 1872-1878. أنظر: شارل فيرو، المرجع السابق، ص 583.
- ⁽¹⁴⁾ - قنصل عام لفرنسا في طرابلس الغرب 1885-1893. أنظر: نفسه، ص 583.
- ⁽¹⁵⁾ - يقع شمال شرق ليبيا، وهو منطقة من الأقاليم الإدارية التي تحدها منطقة المرج من الغرب والجنوب، ومنطقة درنة من الشرق، والبحر المتوسط شمالا. أنظر: عباس غالي داور وخال محمد بن عمور، «منطقة الجبل الأخضر في ليبيا: دراسة في الجغرافية الإدارية»، الأستاذ، 203 (1433هـ/2012م)، ص 1586.
- ⁽¹⁶⁾ - أنظر الملحق رقم: 2، ص 14.
- ⁽¹⁷⁾ - اضطر أحد الأهالي لم يتحصل على جواز سفر إلى السفر برا؛ من طرابلس إلى ملحقة زمورة بالجزائر مارا بعدة مدن: سوق أهراس، قالمة، قسنطينة، سطيف، برج بوعريريج، المدية، مليانة، أورليانفيل (الشلف)، أنظر: A.O.M, 16H55, Rapport 29 Mai 1876.
- ⁽¹⁸⁾ - بن شاعة مخبر سري يخدم فرنسا وفي نفس الوقت تابع للزاوية السنوسية، كتب عنه المترجم الرئيسي فيرو في تقرير بعثته إلى السيد اللواء شانزي، الحاكم العام للجزائر بتاريخ 18 ماي 1877 بعنوان "سفرة العميل السري بن شاعة إلى الجبل الأخضر لدى السنوسية"، A.O.M Aix-en-province, 16H55، أنظر: **Glauco Ciammaichella, Libyens et français au Tchad, 1897-1914 la confrérie senoussie et le commerce transsaharien, préface de j.j.Liège, (Paris: éditions du centre national de la recherche scientifique, 1987), pp.14,15.**
- ⁽¹⁹⁾ - الدفتردار هو المسؤول الأول عن الأمور المالية في الولاية. أنظر كامل على مسعود الوبي، مر. طاهر خلف البكاء، الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب (1842-1911) (الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005)، ص 54.
- ⁽²⁰⁾ - رحالة ألماني، بدأ نشاطه في شمال إفريقيا عام 1855 وعمره 23 سنة، تنكر في زي طبيب مسلم. زار عدة مناطق منها تمبوكتو وغدامس وإثيوبيا وسيوة، وطرابلس مرتين، عين قنصلا عاما لألمانيا بزنجبار 1855، مات عام 1896. أنظر: جزفين كيم، المرجع السابق، ص ص 171-191.



- (21) - في عام 1880 بعث سلطان وادي إلى المهدي ثروة قيمتها 300000 فرنك؛ متكونة من عبيد من الجنسين وريش النعام وأشياء أخرى. أنظر: A.O.M, 16H55.
- (22) - **Louis Rinn**, Marabouts et Khouans, études sur l'islam en Algérie (Alger: Adolphe Jordan, librairie.éditeur, 1884), p.506.
- (23) - أنظر الملحق رقم: 3، ص 15.
- (24) - تم تبرئة السيدين فرانسيسكو سانجلو وروزاريو في تقارير لاحقة بعد مراقبتهما: الأول يتاجر بالمرجان بطبرقة، والثاني يقيم بتبسة له علاقات تجارية واسعة مع تونس لكن ليس تجارة السلاح. أنظر: A.O.M, 16H55
- (25) - أيلة طرابلس الغرب تتكون من خمسة ألوية: طرابلس الغرب، الجبل الغربي، الخمس، فزان، وغات. وستة عشرة قضاء واثنان وعشرون ناحية. أنظر: مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني 1516هـ/1916م (عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، د.ت)، ص 262.
- (26) - نفسه، ص 262.
- (27) - **Evans-pitchard**, The Sanusi of Cyrenaica (London; Oxford university, press, 1949), P.94.
- (28) - يعين المفتي بأمر سلطاني بعد ترشيحه من قبل شيخ الإسلام في استانبول، وهو على المذهب الحنفي، وإلى جانبه مفتي آخر يكون مذهبه على مذهب سكان الولاية، وفي ولاية طرابلس يكون مذهبهم المالكي. وكان المفتي لا يتقاضى مرتبا شهريا، وإنما منصبه شرفي. أنظر: كامل علي مسعود الوبي، المرجع السابق، ص 86.
- (29) - والي طرابلس الغرب، عين في جمادى الآخر 1293/أبريل 1876م. بلغت مدة حكمه 21 شهرا. أنظر: نفسه، ص 248.
- (30) - والي طرابلس الغرب، عين في محرم 1296هـ/فبراير 1878م، حكم شهرا واحدا فقط. أنظر: نفسه، ص 249.
- (31) - أنظر الجدول رقم: 1، ص ص 12، 11.
- (32) - جاء إلى الجزائر بعد الاحتلال (1832) وتعلم فيها العربية وقواعد الإسلام. ثم أعلن إسلامه وسمى نفسه (عمر)، وذهب إلى الحجاز للموافقة على نص فتوى تحرم الجهاد. وتقدم محمد التجاني بقراءة النص باسم روش، وذكر روش نفسه أن العالم الوحيد الذي حضر المجلس وعارض نص الفتوى الخبيثة بشدة هو محمد بن علي السنوسي. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (ط1: بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1992)، ج 1، ص ص 236-238.
- (33) - ولد في قفيق في قصر الحمام الفوقاني نحو 1838 و 1840، أبوه سي العربي بن الحرمة، ابتداء من 1870 أصبح له دور كبير في أولاد سيدي الشيخ. أنظر: P. Wachi, L'insurrection de Boumama 1881-1882 (Tunis: imprimerie rapide (Louis Nicolas, directeur), 1901), p6.
- (34) - أنظر الملحق رقم: 1، ص 13.



- (35) - عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908 (الجزائر: موفم للنشر، 2010)، ج1، ص29.
- (36) - نفسه، ص29.
- (37) - نفسه، ص7.
- (38) - يتشكل وادي ريغ من 25 قرية حسب دumas، تعد تقورت أكبر مدنه، وهي من أكبر مدن الصحراء، لها أهمية تجارية وكذلك طريق أساسي للحج بين المغرب والحجاز، وترتبط بالجنوب التونسي عبر شط الجريد المتكون من مدينتي توزرونقطه. أنظر: **Jean-Louis Triaud**, op.cit,p.66
- (39) - أنظر الملحق رقم: 4، ص16.
- (40) - هو محمد بن عبد الله بن طكوك[كذا]: (1209-1308هـ=1794-1890م)، مؤسس وشيخ زاوية "طكوك" قرب مستغانم (وهي الزاوية الوحيدة السنوسية بالجزائر)، يتصل نسبه بالولي الصالح «سيدي عبد الله» دفين قرية «المطمر» بمستغانم، الذي يعود نسبه إلى إدريس الصغير. ولد بمجاهر ودرس على عدة شيوخ بالناحية منهم شيوخ السنوسي نفسه كالشيخ محمد بن القندوز الذي قتله الباي حسن. فر إلى المغرب ثم عاد، وبسبب نشاطه وتأثيره على الناس قامت فرنسا باعتقاله عدة مرات. أنشأ زاوية شفاعة 1859 وأصبح له أتباعا، وربط علاقات بالخارج لاسيما مع السنوسية. توفي عام 1890 وخلفه ابنه أحمد. أنظر:
- عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى (دراسة إحصائية تحليلية) (بوسعادة. المسيلة. الجزائر: دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، 2005)، ص ص330، 331.
- (41) - أنظر الملحق رقم: 4، ص16.